بؤر الفساد في الأرض وعلاجها في الإسلام

الأستاذ الدكتور: حسن رمضان فحلة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

وبعد:

تعاني الأمة الإسلامية منذ أمد بعيد وإلى يومنا هذا من جملة المفاسد المتنوعة المتعددة التي تنخر في كيانها، فتؤثر على بنائها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي والإداري، مما يحطُّ من مكانتها، ويُضعف من شأنها، ويعرقل في مسيرتها في الداخل والخارج...

وقد سبَّب الكثير من الأمراض الجسمية والنفسية للعديد من الشباب والكهول حتى أنه لم ينج منها شيوخ كبار السن، فأذهبت بنشاطهم وقوَّتهم فغدوا مرهقين قلقين، يبحثون عن المخرج وسبيل العلاج حتى تعود النفس الإنسانية إلى الفطرة السليمة التي فطر الله عزَّ وجلَّ الناسَ عليها.

ولذا صار من اللازم اليوم أكثر من أي وقت مضى البحث عن تلك المظاهر، وهذه الأخطار، والتنبيه عليها، وبيان العلاج الناجع النافع الذي سمت به الشريعة الإسلامية، والذي أُعدَّ بحكمة وعلم ودراية للناس الذين أرسل الله تعالى لهم النبي ﷺ لينشر العدل والسلام والأمن والرحمة في شتى أصقاع الأرض لقوله تبارك وتعالى: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** "الأنبياء: 107"

ولعلنا في هذه الصفحات نلقي ضوءاً على أهم المفاسد التي يقوم بها بعض الناس الذين ضلّوا أو انحرفوا عن الهدى والحق والصراط المستقيم، ومن ثَمَّ نذكر العلاج الذي يبدأ بالوقاية والحذر من الأخطار التي يسببها الفساد والفسق، وذلك قبل وقوعها، ثم الدواء المناسب لمكامن الداء، لتكون فيه الفائدة المادية والمعنوية من صيدلية الإسلام.

وقد قسمنا البحث إلى توطئة نكشف من خلالها أقسام وصفات الناس بعد عرضهم على ميزان العقيدة والإسلام، وإلى ثلاثة مطالب يتضمن المطلب الواحد منها بيان بؤرة من بؤر الفساد، ونختم البحث بخاتمة يظهر فيها العلاج الواقي الشافي إن شاء الله تعالى.

وفي مستهل البحث نجد أن الناس أصناف مختلفة متباينة نوجزها بما يأتي:

أولاً- المؤمنون: هم الذين يصدِّقون تصديقاً جازماً يقترن بإذعان النفس وقبولها واستسلامها لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم. وآية الإيمان، العمل بما تقتضيه عقيدة التوحيد قولاً وسلوكاً.

وقد بيّن القرآن الكريم ما يقتضيه الإيمان من اعتقاد وعمل بقوله تعالى: **﴿الذين يُؤمنون بالغيبِ ويُقيمون الصَّلاة ومما رَزَقناهُم يُنفقون﴾ "البقرة: 4"**.

إنهم يؤمنون ما غاب علمه عنهم كذات الله جلّ وعلا، وملائكته[1] والدار الآخرة[2]، فهم يؤمنون بما غاب عن المشاعر متى أرشد إليه الدليل العقلي أو النقلي أو الكوني. ويقيمون الصلاة إلى الله تعالى لأنهم بحاجة دائمة إلى ربِّ العالمين. وينفقون مما رزقهم الله سبحانه وتعالى ابتغاء مرضاة الله عزَّ وجلَّ وقياماً بشكره. ويصدِّقون جازمين بيقين بما أنزل الله من الكتب السماوية التي ختمها سبحانه وتعالى بالقرآن الكريم، ويؤمنون بالرسل والقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى.

يقول الشيخ رشيد رضا: ((ألا لا يسمى الإيمان إيماناً، حتى يكون إذعانا، ولا يكون كذلك حتى يستسلم الوجدان، وتخشع الأركان، لذلك السلطان الذي تعلق به الإيمان، ولا يكون كذلك حتى يلقي الوهم سلاحه، ويبلغ العقل فلاحه))[3].

ثانياً- المسلمون: هم الذين ينقادون مستسلمين خاضعين لله تعالى في كل مقتضيات ذلك بحيث يشمل التوحيد والإخلاص لله تعالى في الاعتقاد والعمل جميعاً، إنه إخلاص في الاعتقاد، فالمسلم يتوجه بقلبه ووجهه للذي فطر السماوات والأرض، فيستعين به سبحانه وحده، وفي الوقت نفسه فإنه يبتغي بعمله مرضاة الله تعالى وحده، ويزكي العمل بأخلاق القرآن.

فالمسلمون يلتزمون بهدي القرآن الكريم، ويعملون بأحكام الإسلام، لأنه دين الفطرة والسيادة والسلطان، وبالعمل به تحقيق للاستخلاف في الأرض، وفوز بسعادتي الدنيا والآخرة. والمسلمون إخوة لا يفرقهم نسب ولا لغة ولا مآل.

ثالثاً- المنافقون: وهم طائفة من الناس لا يقتصر وجودها على عصر التنزيل ولا عصر الصحابة والتابعين، بل إنهم موجودون في كل زمان إلى يوم القيامة والمنافقون ليسوا

بمؤمنين، ولو أنهم تظاهروا به، فإنهم يخفون كفرهم، ومبعث أعمالهم رئاء الناس، وحب السمعة، ونوال الشهرة والمآرب الدنيوية.

والمنافقون منغمسون في الشرور والآثام كالإفساد والكذب والغش والخيانة والطمع، وغير ذلك من الرذائل والآثام التي ورد ذكرها في الكتاب، ومن ذلك: **﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾** "البقرة: 9" و **﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾** "البقرة: 10" و **﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾** "البقرة: 12" و**﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾** "البقرة: 13" و**﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم، إنما نحن مستهزئون﴾** "البقرة: 14".

فهؤلاء يصدون عن سبيل الله تعالى، ويعملون السيئات، ويفسدون في الأرض، لهم جزاؤهم على آثامهم في الدنيا، وعقوبتهم أليمة شديدة يوم القيامة. قال الله تعالى: **﴿إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾** "النساء: 145".

رابعاً- العُصَاة: هم من المسلمين لأنّ منهم من يصلي ويصوم، ولكن... دخل الفساد في قلبه وعشّش الفسق في نفسه، وائتمر بأوامر من الآخرين، ونظراً لما يفكرون به من أفكار مخالفة للشريعة،ويأتون بدعوات فاسدة باطلة، ونظريات منحرفة ضالة، فإنهم أشبه ما يكونون بالمنافقين.

وقد يستغرب القارئ هذا القياس على المنافقين، إلا أن فسادهم وفسقهم أليم وشديد، وأثره خطير على المسلمين والمؤمنين لأنهم هم السفهاء لقوله تعالى: **﴿واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾** "البقرة:13".

ولنستعرض فيما يلي بعضاً من إفسادهم:

1- فساد العقائد بأفكار مخالفة لشريعة الإسلام، وبدعوات مضللة، ونظريات هدامة لاعتناقها والعمل بما فيها بدلاً من شريعة الإسلام، ومن ذلك: الشيوعية، الاشتراكية العلمية، البراغماتية، الفرق والمذاهب الهدامة بأنواعها العديدة (التي تعصف بالعالم الإسلامي اليوم).

2- إشاعة الكثير من الفلسفات الغربية الهدامة التي تستهدف تحطيم القيم الخلقية في الناس، وتقضي على نوازع الخير فيهم، منها: الوجودية، الفوضوية، القاديانية، الماسونية[4].

3- أخذهم الأوامر مستوردة من الخارج، فيأتمرون بأوامر الآخرين أعداء الإسلام والمسلمين الذين يريدون الشَّر والأذى بالإسلام والمسلمين: فهم يتحلَّون بالإسلام، ويتعصَّبون له على خطأ، ويحملون مفاهيم فاسدة مدسوسة على أنها من الإسلام، وهو عنها براء. وفي الوقت نفسه يقومون بمهمة الصَّد عن الإسلام والتنفير منه، وتذرعين بأنهم من حماته وأنصاره.

4- إفساد الناس اجتماعيا وثقافياً وأخلاقياً وإدارياً واقتصادياً[5]. لأنهم من أكابر المجرمين في الأمة، ويقفون موقف العداء من دين الله، ويتعاونون مع شياطين الإنس ضد الحق والهدى وفي نشر الباطل والضلال، واستخفاف الناس بهذا الكيد.

ولا ريب: فإذا فسد الناس، أمَّروا عليهم شرارهم، أو سلّط الله تعالى عليهم الأمم القوية التي تستبيح حماهم، وتستعبدهم وتستذلهم بعد أن كانوا أعزاء[6] ففي الحديث الصحيح، من حديث أم المؤمنين "زينب بنت جحش" رضي الله تعالى عنها: أنها لما سمعت النبي ﷺ يقول: ((لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل، هذه)) وحلق بإصبعه والتي تليها- قالت له: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: ((نعم إذا كثر الخبث))[7].

أجل: بعد هذا الاستعراض لأصناف الناس في الأمة وما يفعله المنافقون والعصاة من الفساد، نجد من الواجب التعرف على بؤرهم التي يعكِّرون فيها الصَّفاء، ويشوِّهون النقاء، من أجل معالجتهم وما ينتج عنهم من شر مستطير، وخطر عظيم، داهم أمتنا، وفكك وحدتنا، وأشاع الفتن فيما بيننا.

وفي تقسيمنا للمفاسد من خلال هذه البؤر الثلاث، فإن ذلك لا يعني انفصال الواحدة عن الأخرى كوحدة متميزة عن غيرها، وإنما هي متداخلة فيما بينها بحيث يكون أثر كل واحدة شائع متضافر متداخل من غير انفصال كخضراء الدمن وكالمستنقع الآثم بمياهه وقاذوراته وبعوضه وسمومه... وما التقسيم إلا لسهولة الدراسة.

المطلب الأول - الإفساد الخلقي والسلوكي

من النظر في معاجم اللغة وقواميسها نجد أن الفساد نقيض الصلاح، يقال: تفاسد القوم: تدابروا وقطعوا الأرحام، واستفسد السلطان قائده: إذا أباره[8].

والفساد: أخذ المال ظلماً، وفسد: ضد صلح فهو فاسد، واستفسد: ضد استصلح[9]. فهو من المادي: الفساد أي الجدب في البر والقحط في البحر، وفي المعنوي: نقيض

الصلاح، وفسد الشيء فساداً، فهو فاسد. قال الله تعالى: **﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلّهم يرجعون﴾** "الروم: **41**".

فظهور الفساد في البر والبحر إنما هو ((بما كسبت أيدي الناس من الظلم وكثرة المطامع وانتهاك الحرمات، وعدم مراقبة الخلاّق، وطرح الأديان وراء ظهورهم، ونسيان يوم الحساب، وأطلقت النفوس من عقالها، وعاثت في الأرض فساداً، إذ لا رقيب من وازع نفسي، ولا حسيب من دين يدفع عاديتها، ويمنع أذاها))[10].

وللفساد في الأرض صور ومظاهر متعددة متنوعة منها: صدٌّ من آمن بالله تعالى وحده عن هذا السبيل القويم والصراط المستقيم، وتنفير الناس عن إتّباع النبي ﷺ والأخذ بما جاء به من الهدى والخير، والإصلاح لأمور الظلم والفساد التي كان الناس عليها آنذاك، وما يزال هذا الإصلاح في الأرض إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

والفساد إتّباع وتقليد لما عليه أصحاب الأهواء والبِدع والخرافات والشرك يقلد المفسد أولئك تقليداً أعمى لا يوزن بميزان الحق والعدل والإصلاح، فهم بذلك التقليد يعطّلون النظر بعين البصيرة، فلا يحتكمون إلى الإسلام، ولا يلتزمون بالقرآن والسُّنَّة، فيزيغون عن الهدى ولا يعرفون منا شئ الفساد، ومصادر الخلل، ومزالق الزلل. إنه فساد عظيم لأنهم أهملوا هداية الدين والعقل.

والمفسد لا يقتصر فساده على نفسه، وإنما يتعدى إلى غيره لأنه شر يتعدى الواحد ليصيب الآخرين، كالأجرب يعدي السليم، عندئذ لابدَّ من عزله ووضعه في مصحة خاصة به وبأمثاله المرضى، مرضى الفطرة والدين.

والمفسد لا همَّ له إلا في الشهوات والملذات ولذا فإنه يعادي أهل الحق والفضيلة، ويكيد لهم، ويمكر بهم، ويؤذيهم لأنه ألدُّ خصم لهم، فيعمل على الإيقاع بهم لأنه مريض نفسياً بسبب شهوة التكبر والاستعلاء بسبب الفساد. قال الله تعالى: **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾** "القصص: **83**".

نستنتج مما سبق: النهي عن الفساد كيفما كان، وحيثما وُجد، لضرره الشديد، فقد نهى الله تعالى عنه في مواطن عديدة في القرآن الكريم كقوله تعالى: **﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾** "الأعراف: **56** و **85**" ولقوله سبحانه: **﴿ولا تعثوا**[11] **في الأرض مفسدين﴾**

"البقرة: 60، الأعراف: 74، هود: 85" ونهى سبحانه وتعالى عن إتباع طرق المفسدين أو الاقتداء بهم فقال عزَّ من قائل:﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ "الأعراف: 142".

والنتيجة الثانية هي العقاب والجزاء للمفسدين: في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا إحباط العمل وعدم إصلاحه كقوله تعالى: ﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ "يونس: 81" وفي الآخرة: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ "الرعد: 25".

فهؤلاء الذين يفسدون في الأرض بظلمهم لأنفسهم، وظلمهم لغيرهم، وتهييج الفتن بين المسلمين، عقوبتهم الطرد من رحمة الله تعالى ورضوانه، ولهم في الآخرة عذاب جهنم جزاءً وفاقا لما فعلوه من السيئات والشرور، نستعرض من هؤلاء حالة الظلم كمثال للبؤرة الأولى:

الظلم والطغيان:

قال الله تعالى:﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لَمَّا ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبيِّنات وما كانوا ليؤمنوا...﴾ "يونس: 13" وكقوله سبحانه:﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهْلكهِم مَوعِداً﴾ "الكهف: 58".

الظلم سبب لهلاك الأمم، من أجل ذلك نهى الله عزَّ وجل عن اقترافه أو إتباع سبيل الظالمين ففي الحديث القدسي عن النبي ﷺ فيما رُوي عن الله تبارك وتعالى أنه قال:((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...))[12].

وعن النبي ﷺ قال: ((اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم))[13].

ويقع الظلم والطغيان من قِبل فرد أو جماعة على العقيدة والإسلام، أو على الآخرين بالاعتداء على أنفسهم أو أعراضهم، أو أموالهم ، أو عقولهم...

فإذا نظرنا في القرآن الكريم وجدنا للظلم أنواعاً ومظاهر نذكر منها ما يلي:

* التعدي على حدود الله تعالى. والكفر بآيات الله تعالى، والجحود والطغيان.
* الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ،كمن قال أوحي إلي، مع أنه لا نبي بعد رسول الله ﷺ.
* إضلال الناس، بما يقوله الكاذب لغيره أنه على علم فيما يقول حتى يتبعوه في افتراءاته.
* صدُّ المؤمنين عن الإيمان والإسلام، ومنع ذكر الله في مساجد الله تعالى.

* الإعراض عن الإيمان والإسلام والذكر الحكيم.
* كتم الشهادة، أو شهادة الزور، وتبديل القول الذي سُمع.
* التحاكم إلى غير ما أنزل الله تعالى.
* اتخاذ آلهة غير الله تعالى كالذين اتَّخذوا العجل،وكل من يُتقرب به زلفى إلى الله من المخلوقات.
* ارتكاب الفواحش وفعل المنكرات، والمعاصي والآثام كشرب الخمر وتعاطي المخدرات.
* أكل أموال الناس بالباطل، والاعتداء على أموال اليتامى، واستحواذ ولو ذراع من الأرض بغير حق، وأخذ المال عنوة، والربا، والقمار، والاحتيال على ذلك.
* إيقاع الفتن بين المسلمين لإضعاف شوكتهم، وقتل عزَّهم.
* قتل النفس التي حرَّم الله تعالى إلا بالحق، والقتل ظلم عظيم وفساد كبير.
* الامتناع عن التوبة والرجوع إلى الله تعالى بعد ارتكاب الظلم والفاحشة.

مما سبق تبدو صفات الظالم، ويتم التعرف عليه فهو: الذي يسترسل في سبيل حظوظه وشهواته وهواه ونفسه الأمَّارة بالسُّوء، خارج الحدود المشروعة، فيُفسد في **الأرض**، ويُهلك الحرث والنسل، وهو لا يبالي بشيء.

ولكن الله عزَّ وجل يجازي الظالمين جزاءً وفاقاً: ففي الدنيا ذكر الله سبحانه للناس في القرآن هلاك الأمم التي أنعم الله تعالى عليها بنعمٍ كثيرة، وأرسل لها الرسل، فظلموا فأخذهم الله بعذاب أليم، قال تعالى: **﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾** "الأعراف: **165**" وقال جلَّ وعلا: **﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين﴾** "يونس: **13**". فالهلاك والعذاب بشتى أنواعه (الرجز من السماء، الريح المدمِّرة، قطعُ دابر الظالمين) وفي الآخرة لهم عذاب شديد أليم. وما الوعيد بذلك الخزي والويل وعذاب الخلد إلا ليتوب الظالم ويستغفر الله الغفور الرحيم.

وحتى لا يتيه البعض في غمرة الوهم أو الغفلة أو الخوف أو اجتناب الفتنة أو الفرار من الأذى... فيقرون الظالمين على ظلمهم،ويركنون إليهم فيؤيِّدونهم أو يساعدونهم أو يمدونهم بالمال والستر عليهم، فمن يفعل ذلك ويرضى عن أعمالهم فهو منهم، وبالتالي أصابتهم النار التي هي جزاء الظالمين. قال الله تعالى: **﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما**

تعملون بصير. ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ "هود: 112، 113"

ومن النظر في مسألة الركون إلى الظالمين، نجد ((أن الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم، وتحسين تلك الطريقة وتزيينها عندهم وعند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الأبواب، فأما مداخلتهم لدفع ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون))[14].

وفسَّر آخرون الركون بالمكيل إلى الذين ظلموا أدنى ميل، وهم الذين وُجد منهم الظلم، ويتضمن النهي: السكون إلى الظالمين أو محبتهم فلا تجوز مجالستهم ولا مؤانستهم ولا الإنصات إليهم، والرضا بأعمالهم، والتَّشبيه بهم لأن في موالاتهم ومجاراتهم والاعتماد عليهم في الشؤون الدينية والدنيوية خسارة كبيرة لكل من ركن إليهم، فالظالمون هم الظالمون ﴿**ومن يتولهم منكم فإنه منهم إنَّ الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ "المائدة: **51**".

((إن الركون إلى الظالمين المنهي عنه هو الاعتماد على أعداء المؤمنين الذين يفتنونهم ويصدونهم عن دينهم، ويؤيده ما روي عن ابن عباس ﷺ أنه فسَّر الظلم هنا بالشرك، والذين ظلموا بالمشركين، وقيل أنها عامة في الظلمة من غير فرق بين كافر ومسلم، ولو فرضنا أن سبب النـــزول هم المشركون، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب))[15].

وللظالمين في سيرهم مآرب وأغراض ترمي إلى إضعاف وإذلال الآخرين ليسهل لهم السيطرة والاستبداد، وذلك عن طريق الإفساد الخلقي والسلوكي للشعوب بالهبوط بهم من الكمال الإنساني إلى مهاوي الرذيلة والنقص. وذلك بالعبث بالقيم والحقائق الأخلاقية التي أكَّد عليها الإسلام، وإشاعة الفواحش والمنكرات في المجتمعات وسهولة الوصول إليها معتمدين على الجنس والخمر والمخدرات، والاختلاط وارتكاب المحرمات بغية إفساد الأجيال المسلمة سلوكياً، وعندها يسهل الإفساد الفكري والعقدي ولله در الشاعر حين يقول:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

المطلب الثاني – الإفساد الاجتماعي

تبدو البؤرة الثانية للفساد باتجاه المفسدين نحو المجتمع لإضعافه وتمزيق بنائه المتحد القائم على المحبة والإخاء، والعدل والمساواة، والبرِّ والإحسان، والتكافل والتضامن، حيث يتحقق الأمن والاطمئنان والخير فربُّنا سبحانه هو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

والأمة التي وصفها المولى عزَّ وجل بالخيرية ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ "**آل عمران: 110**" هي الأمة التي تلقَّت المبادئ الإنسانية السامية، والقيم الإسلامية العالية من الكتاب والسُّنَّة حيث عرف كل إنسان من هو المؤمن، ومن هو المسلم، ففي السُّنَّة النبوية - على سبيل المثال - عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم))[16].

وفي هذه البؤرة من الإفساد نستعرض جريمة السرقة وقطع الطريق (المحاربة)

أولاً- فالسرقة أخذ أموال الناس عنوة بغير حق، ومتى وجدت في أمة أو مجتمع وشاعت بين الناس كان أثرها خطير على الأمة، وبات الناس هلعين خائفين، فالمرء لا يأمن على نفسه في منـــزلـــه أو متجره، وقد وصل الفساد في بعض المجتمعات إلى حد كبير، فصار لا يأمن على سيارته وحتى على ما في جيبه من النشالين في الطرقات والأماكن العامة، حتى بلغ السيل الزبى، فلم تعد المرأة أمينة على ما تتحلى به من مصوغات، ولا على حقيـــبتها التي تحملها... وبذلك انتشر الذعر وانعدمت الطمأنينة، وعم القلق في نفوس الكبار والصغار.

وقد عالج الإسلام هذه الجريمة، فشرع حدَّ السَّرقة بدليل قوله تبارك وتعالى:﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم**﴾ "المائدة: **38**".

وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ((لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده))[17].

وهذه العقوبة وِقائيَّة وعلاجية بآن واحد، بحيث إذا طُـــبِّقت في مجتمع أصبح آمناً مطمئناً، وخير مثال يفتخر به المسلمون، الأمن والأمان والطمأنينة والسلم في المملكة العربية السعودية، منذ أن طبقت إقامة الحد على السارقين والسارقات. وحبذا لو تأسىَّ أولياء الأمور بها في مختلف الأقطار الإسلامية.

ثانياً- المحاربة وقطع الطريق:

مما هو معروف في الشريعة الإسلامية تحريم قتل النفس بغير حق، ومن قتل نفساً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً. والعقوبة الشديدة شرعها المولى سبحانه على أولئك الذين يفسدون في الأرض وينشرون الخوف والهلع، والاضطراب والقلق، ويعتدون على الحق والعدل

الذي أنزله الله تعالى على رسوله، فلا يذعنون لدين الإسلام، ولا يتحاكمون إلى شرع الله تعالى، فهؤلاء هم المحاربون الذين يقتلون الناس بغير حق، ويعتدون على الآمنين، ويرتكبون أبشع الجرائم بحق أولياء الأمور. وعقوبة أولئك أليمة شديدة رادعة، بدليل قوله تعالى: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً، أن يقتّلوا أو يُصلّبُوا، أو تُقطّع أيديهم وأرجُلُهُم من خلاف أو يُنفوا من الأرض، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم. إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم**﴾ "المائدة: 33، 34".

أجل: إن قطاع الطريق ((يسعون في الأرض فساداً، فيفسدون لما صلح من أمور الناس في تظلم الاجتماع وأسباب المعاش))[18] كالقتل والسلب وهتك الأعراض وإهلاك الحرث والنسل وقطع الشجر وقلع الزرع وقتل المواشي والدواب وكثيراً ما يقومون بحرق مؤسسات عمومية أو خصوصية.

ويجب على الإمام الذي يقيم العدل ويحفظ النظام أن يقاتلهم على ذلك ويوقع عليهم العقوبة المناسبة لفسادهم، فيقتلهم إن قتلوا، أو يصلبهم إن جمعوا بين أخذ المال والقتل، أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إن اقتصروا على أخذ المال، أو يُنفوا من الأرض إن أخافوا الناس وقطعوا عليهم الطريق[19].

من أجل ذلك يترتب على الأمة القضاء على الفساد منذ البداية، فتتكاتف جهود الأفراد والمؤسسات العديدة في الدولة لإزالة الفساد إن وقع، وفي الوقت نفسه يجب على مؤسسات التربية والتعليم، والجامعات والشؤون الدينية والأوقاف ووسائل الإعلام، وعناصر الأمن، والمصلحين من رجال ونساء الأمة، أن يقوموا بتربية الناس على ما جاء في الشريعة الإسلامية من أحكام شرعية يلتزمون بها قولاً وعملاً لأنها تهدف إلى تحقيق المقاصد الشرعية التي يسعى جميع الناس إلى تنفيذها من أجل طلب المصالح ودرء المفاسد.

المطلب الثالث – إفساد الطبيعة والاقتصاد

أما البؤرة الثالثة للفساد فتظهر في إفساد الطبيعة والاقتصاد، فالفرع الأول يكون بإفساد البيئة وما عليها من تربة ومياه وجبال وسهول.

أجل: فإن الله سبحانه وتعالى خلق الأرض صالحة بما فيها من مياه (أنهار، بحيرات، بحار) وسهول وجبال ونباتات، ونظّم فيها مخلوقاتها (إنسان، حيوان، دواب بمختلف أنواعها وأصنافها) وأصلح الأرض، وجعل السماء آية من آياته وجعلها صالحة.

ولكن لما امتدت إلى ذلك يد الإنسان المفسدة،فسد إصلاحها بإفساد البيئة وما تحتويه وما عليها، فما من فساد على الأرض إلا من صنع الإنسان، فقد تلّوثت البيئة بفعل الإشعاعات الذرية، والمتفاعلات النووية والكيميائية حتى الهواء الذي نتنفّسه أُفسد بالغبار الذري الناتج عن التصنيع النووي، والتجريب والتدمير بفعل الأسلحة الكيماوية والجرثومية، ناهيك عن الأسلحة النارية المحرقة... ولم يكتف بذلك بل جعل بعض البلدان مزبلة للنفايات النووية لتفسد الأرض والسكان.

وقد نهى الله عزَّ وجل عن هذا الإفساد بقوله سبحانه: **﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾** "**الأعراف: 56 و 85**" **أي** ((ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاح الله لها بما خلق فيها من المنافع، وما هدى الناس إليه من استغلالها والانتفاع بتسخيرها لهم وامتنانه بذلك...)).[20]

والإفساد في الأرض يتضمن ما ذكرناه سابقاً من ضروب الإفساد وكذا كل ما يفسد العقول الصحيحة، والفطر السليمة، والعقائد القويمة، والآداب الشخصية والاجتماعية، والمرافق البيئية والاقتصادية (زراعة، صناعة، تجارة).

وليعلم كل إنسان أن الكون متوازن بقدرة الله تعالى وحكمته **﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾** "**القمر: 49**"

ويظهر الفرع الثاني في إفساد الحرث والنسل: وقد ذكر القرآن هذا النوع من الإفساد كما في قوله تبارك وتعالى: **﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليُفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾** "**البقرة: 205**". فالإفساد هنا يتوجه على الثروة الإنسانية والحيوانية، عن طريق اجتهادات يفاجئ المفسدون بها الناس كتحديد النسل، والإجهاض، عملاً بنظرية مالتوس الفاشلة تارة، وانسياقاً وراء ادعاءات المغرضين كالهروب من الانفجار السكاني.

ويقوم مفسدون آخرون عن طريق اجتهادات نفعية غائية مصلحية لإفساد الحيوانات والزراعة (أمراض حيوانية، وأمراض زراعية، سموم) بأثر من تلوث البيئة وهذا الفساد يكون

نسبياً ثم يعمُّ. عندئذ لابد من استئصاله من بدايته حتى لا ينتشر الفساد. أما الفرع الثالث للإفساد فيتعلق بالاقتصاد الذي هو عصب الحياة.

ويبدو ذلك في:

1- سوء وسائل الكسب، وعدم الالتزام بالنظام الإسلامي لذلك.

2- كنـــز المال وحجزه عن تأدية وظيفته الاجتماعية.

3- أكل أموال الناس بالباطل، كالربا والرشوة والقمار.

4- سوء استعمال الثروة، وإنفاقها في المحرمات. ومن ذلك استعمال المال للإفساد ونشر الفساد.

5- عدم الاكتراث بالأموال العمومية، وإهمالها أو إفسادها، كالمرافق العامة، والوقف،ومال اليتيم.

والسبب الرئيس في الفساد الاقتصادي الترف والأنانية والإثرة، والطغيان. **﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمَّرناها تدميراً﴾** "الإسراء: **16**".

وفي الختام:

فإن الأمة إذا لم تأخذ على أيدي المفسدين فإن الهلاك يعمُّ الأمة جميعها، من أجل ذلك ينبغي اتخاذ التدابير الآتية:

أ- الإرشاد الديني، والتربية الإسلامية في مختلف المؤسسات الاجتماعية.

ب- التكامل والتكافل من أجل الخير، والتحام الأمة ببعضها مع أولياء الأمور على الخير.

ج- الاهتمام الصادق بتوعية الناس، وتعريفهم بالنظم التي أرسى قواعدها الإسلام.

د- الالتزام الصادق والمخلص بالإسلام في كل زمان ومكان وحال.

هـــ- النصح والتناصح، وتوجيه المفسدين إلى الإسراع بالتوبة إلى الله تعالى.

و- الأخذ على أيدي المفسدين بتطبيق العقوبات الصارمة إن لم يتوبوا.

فنسأل الله تعالى أن يهدينا إلى الحق والخير والصراط المستقيم.

الهوامش:

[1]- الملائكة: هم جنود الله تعالى، لا نراهم، ولكننا نؤمن بهم، ولهم مزايا خاصة وصفات لا يعلمها إلا الله جلّ وعلا، وذكر القرآن أعمال بعضهم كأمين الوحي "جبريل" وقابض الأرواح "ملاك الموت" والذي ينفخ في الصُّور يوم القيامة "إسرافيل".

[2]- الدار الآخرة: هي الدار التي يعيش فيها الناس بعد الموت، وفيها الحساب والجزاء على الأعمال إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

[3]- تفسير المنار: ج: 270/1.

[4]- لمزيد من الإطلاع انظر، علي عبد الحليم محمود: ركائز الغزو الفكري وأدواته من كتاب الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية. عام: 1401 هـ-1981م. ص: 131 وما بعدها.

[5]- وهذا ما نوضحه عند البحث في بؤر الفساد الآتية.

[6]- وما يحدث كل يوم في فلسطين والعراق ولبنان ليس عنا ببعيد،وهو عبرة لكل من يعتبر وإرشاد لمن يريد البحث عن الصراط المستقيم.

[7]- الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. ج: 3. ص: 477.

[8]- ابن منظور: لسان العرب. 1095/4.

[9]- الفيروزبادي: القاموس المحيط. 323/1.

[10]- ابن الشيخ الحسين، سفيان: سنن الله في الخلق. ص: 86.

[11]- تعثوا: عثا أي نشر الشر والفساد وأثار الخبث.

[12]- صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب. رقم: 4674.

[13]- المرجع نفسه، رقم الحديث: 4675. ورواه أحمد في مسنده: مسند الأنصار. رقم: 20451. والبخاري والترمذي.

[14]- تفسير المنار: 176/12، نقلاً عن الرازي الشافعي في تفسيره "مفاتح الغيب".

[15]- المراغي، أحمد: تفسير المراغي. ج: 93/12 وما بعدها. وقد وردت تفسيرات كثيرة لهذه الآية تدور حول هذا المعنى.

[16]- سنن الترمذي: كتاب الإيمان رقم الحديث:2551. وسنن النسائي: الإيمان وشرائعه، رقم الحديث: 4909.

[17]- قال الأعمش: كانوا يرون أنه بيض الحديد، والحبل كانوا يرون أنه منها ما يساوي دراهم، صحيح البخاري، كتاب الحدود، رقم: 6285 ورواه مسلم في كتاب الحدود، رقم: 3195.

1- تفسير المراغي: ج:105/6.

[19]- لمزيد من الإطلاع على هذا النوع من الفساد، انظر تفسير المنار.ج: 352/6 وما بعدها.

[20]- تفسير المراغي: ج: 178/8.